ملامح تطور وازدهار الأدب في العصر العباسي

مهما يكن من أمر التغيير الذي أصاب الحياة في العصر العباسي ، فقد ظلت اللغة العربية أداة التعبير ووسيلة الفن القولي ، على الرغم مما أتاحه ذلك العصر للناس من ثقافات جديدة منوعة ، وتجارب حيوية مختلفة ، إلا أن أداة التعبير في ذلك كله كان باللغة العربية بكل ما فيها من إمكانيات وطاقات تعبيريه .

ولما كان الأديب لسان قومه وعصره كان طبيعياً ، أن يكون هناك صراع بين التقاليد الفنية الموروثة وبين ثقافة وذوق المجتمع الجديد ، لكنه مع مرور الوقت بدأ التيار الجديد يفرض نفه ويؤكد جودته ، ونفذ الشعراء العباسيون من خلاله إلى استحداث أسلوب جديد عرف باسم أسلوب المولدين اعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الوحشية ولغة العامة الزاخرة بالكلمات المبتذلة .

وبعبارة أخرى أسلوب يجمع بين مادة اللغة بمقوماتها النحوية والصرفية الملائمة بينها وبين الحياة الحضرية المترفة في العصر العباسي، من حيث القدرة على تخير البعيد عن الغرابة والوحشية ، وعن العامية المبتذلة ، وبدأت الأساليب ذات سمة خاصة تشق عن ذلك المزيج من القديم الفصيح والذوق الحضري الجديد.

وقد كان بشار أحد الأوائل الذين استخدموا هذا الأسلوب ، وأرسوا قواعده وسار على نهجه شعراء كثيرون أمثال البحتري وأبو تمام الذي رد ذلك الأسلوب

إلى قوة السبك وضخامة البناء ، وكذلك ابن الرومي ، والذي يقول فيه بن خلكان : " والشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك الفن حتى يستوفيه إلى أخره ولا يبقي فه بقية ".

ويظهر صاحب كتاب العمدة منهج الشعراء في العصر العباسي بقوله " ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كإبن الرومي ، وأبي الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون .

كما لعبت الثقافة اليونانية والفارسية دوراً كبيراً في التركيبة الثقافية لبعض الشعراء تمثلت في التشخيص الذي يشبه توليد الأساطير واختراع الأرباب والربات لكل قوة من قوى الطبيعة عند اليونان ، وكذلك المعاني النادرة والأخيلة المبتكرة ، كأن يصور بعض الشعراء المعاني المجردة أرواحاً ينسب إليها ما ينسب إلى الأحياء من الأعمال والأقوال ، ومن ذلك قول ابن الرومي ساخراً من العوسج كأنه إنسان .

غذرنا النخل في إبداء شوك
يذود به الأنامل عن جناه
فما للعوسج الملعون أبدي
لنا شوكاً بلا ثمر نراه
تراه ظن فيه جنى كريماً
فأظهر عدة تحمي حماه

obeikandl.com

فـــلا يتســـلحن لـــدفع كـــف

كفـــاه لـــؤم مجنـــاه كفـــاه

ولما كان من ملامح العصر الثقافية ، دراسة الفلسفة والمنطق ومذاكرة علم الكلام ، والعلوم المترجمة ، فقد كان لزاماً أن ينشأ الشعراء أو بعضهم على نصيب من تلك العلوم في شعرهم ، بحيث لا يلم المتصفح ببعضه إلا جزم بإطلاع قائله على الفلسفة ومصاحبة أهلها واشتغاله بها ، حتى سرت في أسلوبه وتفكيره .

والجدير بالذكر أن مثل هذه الأشياء تعد ملمحاً واضحاً في الشعر العباسي ، لم يكن موجوداً من قبل ، بل كانت نتيجة حتمية لانتشار الثقافات المختلفة بصورة أثرت تأثيراً جدياً في الشعر والشعراء بالإضافة إلى أغراض الشعر الأخرى والتي سيأتي بيانها .

كما أن الشعراء بجانب ما جددوه في الأسلوب إلا أنهم ظلوا ينظمون في الموضوعات القديمة مثل المدح والرثاء والهجاء والغزل والوصف والمجون والزهد وظلت تلك المجالات قائمة وإن كانوا قد توسعوا في بعضها مثل المدح والمجون والزهد واستجابة للأوضاع والمتغيرات التي طرأت على العصر العباسي .

أبو العتاهية وأثره في الزهد:

ترجمته :

هو : أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان وينتهي نسبه إلى عنزة بالولاء من قبل أبيه وإلى بني زهرة من قبل أمه التي كانت مولاة لهم.

وأبو العتاهية كنيته ، ولقب بها بعد أن دعاه المهدي بها يوماً : وعتاهية يقال للرجل المتحذلق ، فقد روى الأصفهاني أن المهدي قال له يوماً أنت متحذلق متعته فاستولت له من ذلك كنية غلبت عليه دوناسمه وسارت في الناس [1]

ويقال أنه لقب بذلك الاضطراب كان فيه وقيل لأنه كان يحب الخلاعة والمجون والتعته.

وقد ولد عام ١٣٠هجرية في بلدة تعرف بعين - التمر وهي كما يقول ابن خلكان من أعمال سقي الفرات بالعراق ، وقد نشأ في الكوفة ، والكوفة وعين التمر كلتاهما من سقي الفرات .

وقد أجمعت كتب الأدب أنه نشأ نشأة وضيعة فاسدة ، فكانت أمة مولاه وأبوه بائع جرار أو كان حجاما ، إلا أن أبا العتاهية لم يعبأ بهذا الأصل وظهرت في شعره إشارات إلى فضل العلم والتقوى على النسب والأصل امتثالاً لقول الله ﷻ :

﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ [2].

١- الأغاني جـ ٤صـ ٢.
٢- سورة الحجرات : من الآية ١٣.

ومن ذلك قوله :

ألا إنمـا التقـوى هـي العـزم والكـرم

وحبـك للـدنيا هـي الفقـر والعـدم

ولـيس علـى عبـد تقـي نقيصـه

إذا صـحح التقوى وإن حـاك أو حجم[1]

وقـد نشـأ الشـاعر في الكوفـة - كمـا أشـرنا - وأخـذ يخـتلط بالبيئـات المختلفـة، والـتي كانـت سمـة مـن سمـات العصـر العباسـي ، فـاختلط بالمجـان مـن الشـعراء وأختلـف إلى حلقـات العلمـاء والوعـاظ في المسـاجد ، ممـا كـان سـبباً في إتقانـه اللغـة العربية والتعرف إلى مذاهب أصحاب الكلام .

كمـا توثقـت الصـلة بينـه وبـين إبـراهيم الموصـلي المغـني ، وتعاهـدا علـى أن ينـزلا بغـداد ليروجـا بضـاعتهما - الشـعر والغنـاء - ففتحـت الأبـواب أمـام إبـراهيم الموصـلي بينمـا أوصـدت دون أبـي العتاهيـة ، فقـرر العـودة إلى الكوفـة، ولمـا فتحـت الـدنيا علـى الموصـلي في خلافـة المهـدي دعـاه إبـراهيم وأرسـل في طلبـه ليقدمـه إلى الخليفـة ، فـذهب إليـه أبـو العتاهيـة ، وأعجـب الخليفـة بشـعره وقربـه إليـه وأغـدق عليـه بالعطايا والمنح.

وتمـر الأيـام ويرحـل المهـدي ويخلفـه الهـادي ، فيلزمـه أبـو العتاهيـة ينشـده ويمدحـه في كـل مناسـبه فينـال منـه المـنح والجـوائز ، ويسـتمر علـى هـذا الحـال مـع ابنـه الرشـيد حينمـا ولـي الخليفـة وأصـبح لا يفارقـه في سـفر ولا حضـر ، وكـان يجـري عليـه خمسـين ألـف درهـم في السـنة بالإضـافة إلى مـا كـان يحصـله مـن جـوائز وصـلات مـن كبار رجال الدولة .

١- الأغاني جـ ٤صـ ٥.

وقد امتنع في هذه الفترة عن قول الغزل والهجاء والمدح لغير الخليفة مما كان سبباً في إيذائه وسجنه ، ولعل ذلك بداية زهده ، إذ إنه ما لبث حتى أخذ في قول الزهد والإكثار من الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وقد اتهم في عقيدته "، لكنه يرد على ذلك بقوله : " زعم الناس أني زنديق والله ما ديني إلا التوحيد ، فقلنا له : فقل شيئاً نتحدث به عنك أي من الشعر - فقال :

ألا إننـــــا كلنـــــا بائـــــد
وأي بنـــــــي أدم خالـــــد .
وبـــدؤهم كـــان مـــن ربهـــم
وكـــل إلـــى ربـــه عائـــد
فـــوا عجبـــا كيـــف يعـــص الإلـــه
أم كيـــف يجحـــده الجاحـــد
وفـــي كـــل شـــيء لـــه آيـــة
تـــدل علـــى أنـــه الواحـــد

ولعل الظروف السياسية والصراعات الحزبية كانت وراء مثل هذه التهم التي كانت تلقي على بعض الشعراء ، ممن كانوا يتناولون هذه المثالب بالنقد والتوجيه والثورة على المفاسد التي كانت منتشرة آنذاك لكن الناظر في شعر أبي العتاهية لا يجد هذه التهمة أي الزندقة أو أي أثر لنظر نقدي في الكون أو لنزعة فلسفية في الدين .

شعره ومكانته الأدبية :

يعد أبا العتاهية من الشعراء المطبوعين في العصر العباسي ، فقال صاحب الأغاني : أطبع الناس بشار وأبو العتاهية . وقال ابن الأعرابي وقد أثاره رجل رمي أبا العتاهية بالضعف . فوالله ما رأيت شاعراً قط أطبع ولا أقدر على بيت منه وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر .

ونظراً لكثرة الشعراء في العصر العباسي ، وشدة التنافس بينهم إلا أنه استطاع أن يشق طريقه بين الحاسدين والواشين ، وأن يجعل لنفسه مكانة عالية وعرف بشعره وفنه طريق القصور والقلوب .

وهذه المكانة تعطينا بأن أبا العتاهية كان شاعراً مطبوعاً وكان شعره لطيف المعاني سهل الألفاظ بليغ التراكيب ، قليل التكلف ، وهذا ما أكده المبرد بقوله : أبو العتاهية حسن الشعر قريب المأخذ لشعره ديباجة ويخرج القول كمخرج النفس قوة وسهولة واقتدارا [1] .

وقد سئل كيف تقول الشعر قال : ما اردته قط إلا مثل لي . فأقول ما أريد وأترك ملا أريد .

ويؤكد الجاحظ هذه الحقيقة حين سمع من ينشد قول أبي العتاهية :

يا للشباب المرح المتصابي

روائح الجنة في الشباب

فيقول للمنشد كف : أنظر إلى قوله " روائح الجنة في الشباب " فإن له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتعجز عن ترجمته الألسنة

١- انظر الكامل ج١ ص ٢٣٩ .

إلا بعد التطويل وإدامة التفكير وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه .

وهذه الأقوال وتلك الشهادات لا تمنع من وجود بعض العثرات والسقطات مع أقتداره وتمكنه من قرض الشعر وسهولته عليه ، لكن هذه العثرات لا تخرجه من إمارة الشعر في العصر العباسي ولا تقلل من شأنه ولا من مكانته بين الشعراء المطبوعين الذين كانوا يتمتعون بغزارة النظم وقوته وتعبيره عن الأحاسيس والمشاعر. وكلما كان الشاعر صادقاً في فنه مخلصاً له ، كان فنه هذا خالداً بخلود الفن الأصيل .

زهده :

يكاد يجمع المؤرخون والباحثون على أن أبا العتاهية قد ختم حياته بالزهد وظل نحو ثلاثين عاماً يتغنى بالموت والزهد في الدنيا والابتعاد عما فيها من زخرف وبهجة وفتنة ، وحاول الاقتراب من الآخرة ، فكثرت في شعره العظات والتذكرة بالموت في صفحات فنية رائعة تشيع في جنباتها الفلسفة الروحية العميقة القائمة على المعاني الإيمانية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ولعل الذي دفعه إلى هذا الاتجاه الشعري وتركه ما كان عليه الشعراء هو تأثير العصر الذي جمع بين المتناقضات ؛ حياة اللهو والشراب والرقص والغناء والغزل ، وحياة الزهد والتقوى والخشوع ، فهذه العوامل أسهمت في تكوين نزعة الزهد عنده ، فترك الغزل والمنادمة واختط لنفسه أسلوباً آخر واتجاها يخالف ما كان عليه الشعراء آنذاك .

كما يرجع هذا التحول الشعري عند أبي العتاهية إلى أنه كان يحس بالضعة والحرمان والنقص ؛ فقد نشأ محروماً فقيراً من أسرة وضيعة يعير عائلها بعمله كحجام في الوقت الذي أحب فيه الشاعر الدنيا وأقبل عليها وكلف بها لكنه لم يجد من تصبو إليه نفسه ، فولد إحساسه بالحرمان في نفسه النقمة على الدنيا ، ولم يلبث أن بالغ في ذمها وتحقيرها ، وذم الحرص عليا والتكالب على مباهجها وزينتها .

هذا بالإضافة إلى أن عصر الشاعر أسهم في هذا التحول إذ إنه كان من أحفل العصور الإسلامية بالزهد والزهاد ولم يرق إلى درجة الرقي والازدهار واعتباره اتجاها شعرياً إلا في العصر العباسي ، فقد استغرق بعض الشعراء في الذات العلية وحاولوا التجرد من كل ما سواه من عرض المادة والحس واللجوء إلى الحب الخالص لله والاقتراب من اليوم الآخر ، وكان أبو العتاهية أحد هؤلاء الشعراء من أمثال : ذو النون المصري وعمر بن الفارض ، وأبو يزيد البسطامي والحسين بن منصور الحلاج ، إلى غير ذلك من الشعراء ممن اشتهروا بهذا الاتجاه .

وإذا سلمنا بأن الزهد قد ظهر في شكل ثورة نفسية من الشاعر على ماضية وحنقه على الدنيا فلم لا تقول أنه بالإضافة إلى ذلك ، يعتبر صدى لثورة أوسع انبعثت من الجانب المتدين في المجتمع العباسي ، والذي يعد بمثابة اتجاه مضاد لاتجاه الخلاعة والفجور ، والتباين الكبير بين الطبقات في الغني والفقر ، لذا نلمح في أشعاره توبيخا وتسفيها للأغنياء ، وحضاً لهم على التخلي عن لذائد الدنيا الفانية .

في مثل قوله :

يـا مـن بنـي القصـر فـي الـدنيا وشيده

أسســت قصــرك حيــث الســيل والغــرق

لا تغلفـــن فـــإن الـــدار فانيـــة

وشـــربها غصـــص أو صـــفوها رنـــق

والمــوت حــوض كريــة أنــت وارده

فــانظر لنفســك قبــل المــوت يــا مــذق

وأشـعاره في هـذا الاتجـاه كمـا نـرى تمتـاز بالسـهولة واليسـر، وتـدل علـى صـدق عاطفته ورهافة حسه .

وفــاته :

وافتــه المنيــة وانتقــل إلى الــدار الــتي طالمــا تغـني في أشـعاره بهـا والانتقـال إليهـا سـنة عشـر أو إحـدى عشـرة ومـائتين مـن الهجـرة ، ودفـن ببغـداد ، عـن عمـر ينـاهز التسـعين عامـا ، كمـا يبـدو مـن هـذه الأبيـات الـتي أوصـي أن تكتـب علـى قـبره ، والـتي يقول فيها :

أذن حـــــي تســـــمعي اســمعي ، ثــم عــي ، وعــي

أنـــا ، رهـــن بمضـــجعي فاحـــذري مثـــل مصـــرعي

عشـــت تســـعين حجـــة أســـــلمتني لمضـــــجعي

لـــيس زاد ســـوى التقـــي فخـــذي منـــه ، أو دعـــي

نماذج من شعره :

قال في التضرع إلى الله والندم على ما اقترف من ذنوب :

إلهـــــي لا تعـــــذبني فـــــإني
مقـــر بالـــذي قـــد كـــان منـــي
ومـــــالي حيلـــــة إلا رجـــــائي
وعفـــوك إن عفـــوت وحســـن ظنـــي
فكـــم مـــن زلـــة لـــي فـــي البرايـــا
وأنـــت علـــيّ ذو فضـــل ومـــن
إذا فكـــرت فـــي قـــدمي عليهـــا
عضضـــت أنـــاملي وقرعـــت ســـني
يظـــن النـــاس بـــي خيـــراً وإنـــي
لشـــر النـــاس إن لـــم تعـــف عنـــي

ويقول في الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها إلا بقدر ما يعين المرءعلى الحياة ، وأنه لن يأخذ من الدنيا ، إلا على قدر حاجته مهما بلغت أمانيه وأطعامه ولن يبقى له إلا ما قدمه خالصا لوجه الله :

جمعـت مـن الـدنيا وحـزت ومنيتـا
ومالـــك إلا مـــا وهبـــتَ وامضـــيتا.
ومالـك ممـا يأكـل النـاس غيـر مـا
أكلـــتَ مـــن المـــال الحـــلال فأفنيتـــا .

ومالـــك عـــن شـــيء جعلتـــه

أمامـــك إلا شـــيء لغيـــرك أبقيتـــا

ومالـك ممـا يلـبس النـاس غيـر مـا

كســـوت وإلا مـــا لبســـت فأبليتـــا.

وهـو بهـذا القـول يتمثـل القـول المـأثور: لـيس لـك مـن مالـك إلا مـا أكلـت فأفنيت وما لبست فأبليت وتصدقت فأبقيت .

obeikandl.com

قصيدة أبي العتاهية في مخاطبة الدنيا وذمها

١. قطعـــت منـــك حبائـــل الآمـــال
وحططـت عـن ظهـر المطـي رحـالي
٢. ويئسـت أن أبقـي لشـيء نلـت ممـا
فيـــك يـــا دنيـــا ، وأن يبقـــي لـــي
٣. فوجـدت بـرد اليـأس بـين جـوانحي
وأرحـــت مـــن حلـــي ومـــن ترحـــالي
٤. ولـئن يئسـت لـربّ برقـة خلـب
برقـــت لـــذي طمـــع ، وبرقـــة آل
٥. مـا كـان أشـأم إذ رجـاؤك قـاتلي
وبنـــات وعـــدك يعـــتجلن ببـــالي
٦. فـالآن يـا دنيـا عرفتـك فـاذهبي
يـــــا دار كـــــل تشـــــتت وزوال
٧. والآن صـار لـي الزمـان مؤدبـاً
فغـــدا علـــيّ ، وراح بالأمثـــال
٨. وألان أبصـرت السـبيل إلـى الهـدى
وتفرغـــت هممـــي عـــن الأشـــغال
٩. ولقـد أقـام لـي المشـيب نعاتـه
يفضـــي إلـــى بمفـــرق وقـــذال
١٠. ولقـد رأيـت المـوت يبـرق سـيفه
بيـد المنيـة حيـث كنـت حيـالي

١١. ولقد رأيت عُرَ الحياة تخرمت
ولقد تصدي الوارثون لمالي
١٢. ولقد رأيت على الفناء أدلة
فيما تتكر من تصرف حالي
١٣. وإذا اعتبرت رأيت خطب حوادث
يجرين بالأرزاق والآجال
١٤. وإذا تناسبت الرجال فما أري
نسبا يقاس بصالح الأعمال
١٥. وإذا بحثت عن التقي وجدته
رجلا يصدق قوله بفعال
١٦. وإذا اتقي الله أمرؤ وأطاعه
فيداه بين مكارم وفعال
١٧. وعلى التقي إذا ترسخ في التقي
تاجان ، تاج سكينة وجلال

وهي قصيدة طويلة تفيض بالانفعال الصادق والعزم القوي على الطريق الذي أدت إليه فلسفته في الحياة بعد أن خبرها وبلاها وتأملها واكتوى بنار شرورها ، وذاق فيها طعم الحرمان والشقاء ، فأطال التأمل ، وأمعن في النظر فدقق الإمعان ، ثم وصل إلى النتيجة القوية الواضحة التي وثق بها .

وتكاد تكون هذه القصيدة انموذجا متكاملاً لشعره في الذهد ، إذ إنها جامعة لأهم خصائصه الفنية في هذا الاتجاه ، كما أنها تشتمل على الكثير من أسباب فلسفته وزهده ، وسنتعرض لهذا الجزء من هذه القصيدة بالشرح والتحليل لنقف على ملامح الزهد عند الشاعر.

الشرح والتحليل :

✍ **حقيقة الدنيا والبعد عنها :**

يقول أبو العتاهية مخاطباً الدنيا .

١. قطعت منك حبائل الآمال
وحطط عن ظهر المطي رحالي
٢. ويئست أن أبقي لشيء نلت مما
فيك يا دنيا ، وأن يبقي لي
٣. فوجدت برد اليأس بين جوانحي
وأرحت من حلي ومن ترحالي
٤. ولئن يئست لربّ برقة خلب
برقت لذي طمع ، وبرقة آل
٥. ما كان أشأم إذا رجاؤك قاتلي
وبنات وعدك يعتجلن ببالي

اللغة :

١. **حبائل :** جمع حبالة وهي شرك الصائد .
المطي : جمع مطية من المطاء **وهو :** الظهر.
ويطلق لفظ مطية على الذكر والأنثى .
والرحال جمع رحل وهو : ما يعد للرحيل من المتاع .
٢. **اليأس :** القنوط وعدم الرجاء .

obeikandl.com

الدنيا : نقيض الآخرة وهي أنثى الأدنى وسميت الدنيا لدنوها ، ولأنها دنت وتأخرت الآخرة وكذلك سميت السماء الدنيا لقربها إلينا.

٣. **البرد :** ضد الحر ، **والبرودة نقيض الحرارة** ، والمراد الهدوء والسكينة والفتور.

الجوانح : جمع جانحة وهي الأضلاع التي تحت الترائب والمراد ما تحتويه وهو القلب .

الحل : الإقامة ، الترحال السفر.

٤. **رب هنا تعني :** التكثير.

وبرقه الخلب : لمعة البرق التي لا تعقب مطراً .

الآل : السراب .

٥. **أشأم :** من الشؤم وهو التطير والشر.

بنات الوعد : كناية عن الآمال الزائفة الخادعة .

يعتجلن : يسرعن .

المعنى :

يبدأ الشاعر قصيدته بجملة من الحقائق تتمثل في الكشف عن حقيقة الدنيا ومحاولة البعد عنها ، وعدم التعلق بها ، والجري وراء ما فيه من آمال زائفة وغرور يضلل صاحبة ، لذا فإنه لم يعد له طمع في زخارفها الزائلة وزينتها المغرية الخادعة ، ولم الطمع والتعلق بها وبرقها لا يخلف وسرابها دائم الخداع ، وبخاصة وقد ظل طوال الماضي من عمره متعلقاً بها مخدوعاً بسرابها ، مفتونا بزينتها وبهرجها مقتولا برجائه منها ، مشغولا بآماله فيها فما وجد غير السراب ، والهباء المنثور.

والشاعر بذلك يقرر تلك الحقيقة وهي أن الدنيا متاع الغرور وحياة فانية من تعلق بها وانشغل بزينتها وزخرفها ، ساقته إلى الهوان والضياع والخسران وهذا يدل على أن الشاعر قد تمرس الحياة وعاش ضروباً من لذائدها وتعلق بكثير من زخارفها ، وزينتها ، فحديثه عنها وكشف حقيقتها ، يوحي بتجربة صادقة عاشها الشاعر واعتملت نفسه بكل جزئياتها . فخرجت تلك الحقيقة معبرة عن واقعه وما أضحت عليه حاله من جراء تعلقه بها .

هداية بعد ضلال:

٦. فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبي
يا دار كل تشتت وزوال

٧. والآن صار لي الزمان مؤدباً
فغدا علىّ ، وراح بالأمثال

٨. وألان أبصرت السبيل إلى الهدى
وتفرغت هممي عن الأشغال

٩. ولقد أقام لي المشيب نعاته
يفضي إلى بمفرق وقذال

١٠. ولقد رأيت الموت يبرق سيفه
بيد المنية حيث كنت حيالي

١١. ولقد رأيت عُرَ الحياة تخرمت
ولقد تصدي الوارثون لمالي

اللغــة :

٦. **تشتت :** تفرق وهو ضد التجمع .

٧. **مؤدبا :** معلما ومهذباً . **غدا على :** أقبل .

راح : ذهب . **الأمثــال :** القصص والنوادر والعظات.

٨. **بصرت :** رأيت . **السبيل :** الطريق المستقيم .

الهدى : الرشاد والفلاح .

همم : جمع همة وهي الاهتمام وتعني العزيمة والإصرار .

الأشغال : جمع شغل وهو ما يلهي عن غيره من الأعمال.

كما في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1] .

٩. **النعاة :** جمع ناع وهو المصوت بما يكره أي الذي يأتي بخبر الموت .

يفضي : يخبر ويُسر .

المفرق : بكسر الراء وفتحها : وسط الرأس .

القذال : بفتح القاف – جماع مؤخر الرأس والمراد أن رأسه اشتعل شيباً.

١٠. **يبرق :** " يلمع ، سيف الموت : علامته كالكبر والمشيب .

حيالي : إزائي ونحوي .

١١. **العُرا بضم العين :** جمــع عــروة ، وهــي مبيــت الأزرار في الثيــاب والمــراد أحوال الدنيا وما كان يأمله فيها .

تخرمت : ثقبت وانشقت واخترمته .

المنية : أخذته ، واخترمهم الدهر أي اقتطعهم وأستأصلهم .

تصدي الوارثون : تعرضوا واستعدوا للميراث واقتسامه.

١- سورة يس : الآية ٥٥ .

obeikandl.com

المعنى :

بعد أن كشف الشاعر النقاب عن حقيقة الدنيا ، وأنها زائفة وفانية ، تسلل الندم إلى نفسه وقلبه على ما ضاع من عمره في ظل خداعها وزيفها وتأمله في سرابها . فأعلن قطع صلاته بها بعد أن تعرف إلى طريق الهدى والفلاح وانصرفت غايته عما كان يشغلها من قبل وانقطع للتدبر والتفكر في الاستعداد للآخرة ، وكيف لا وقد اشتعل رأسه شيباً وهو رسول من رسل الموت ، جاء يحمل سيفه لينقض عليه كما رأى أحوال الدنيا وما كان يأمله فيها قد تقطع من حوله وتمزقت صلاته بها وتراءى له الأبناء وهم يتربصون بساعة فراقه لهم ويترقبون نشوة لقائهم بميراثهم .

وكل هذه أدلة يسوقها الشاعر ليؤكد بعده عن الحياة وعن فعل ما يشينه أو يعيبه باقي عمره وأنه بدأ مرحلة جديدة عرف فيها طريق الهدى والرجوع إلى الله ﷻ .

التقوى سبيل الفلاح :

١٢. ولقد رأيت على الفناء أدلة
فيما تنكر من تصرف حالي

١٣. وإذا اعتبرت رأيت خطب حوادث
يجرين بالأرزاق والآجال

١٤. وإذا تناسبت الرجال فما أري
نسبا يقاس بصالح الأعمال

١٥. وإذا بحثت عن التقي وجدته
رجلا يصدق قوله بفعال

١٦. وإذا اتقـــي الله أمـــرؤ وأطاعـــه

فيـــداه بـــين مكـــارم وفعـــال

١٧. وعلـى التقـي إذا ترسـخ فـي التقـي

تاجـــان ، تـــاج ســـكينة وجـــلال

اللغة :

١٢. **الفناء :** الموت والعدم وهي نهاية كل المخلوقات ومنه

قول الله تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (١)

تنكر : تغير وأصبح منكراً ، والتنكر التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها منه والمنكر : ضد المعروف .

الحال : الشأن . والمراد أحواله وتصرفاته وأموره .

١٣. **اعتبرت :** تذكرت وتفكرت في عبر الزمان وتصرفاته . ومنه .

قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢)

والمراد التذكرة والتفكر والأدكار .

الخطب : الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر.

يقال : ما خطبك ؟ أي ما أمرك ، وفي التنزيل العزيز.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣)

١- سورة الرحمن : الآية ٢٦.
٢- سورة الزمـــر : الآية ٢١.
٣- سورة الذاريات : الآية ٣١.

أي ما شأنكم وحالكم والجمع خطوب .الآجال : جمع أجل هو العمر المحدود ، ومنه قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (١)

١٤. **تناسبت :** ذكرت أنسابها مفاخرة .

وانتسب واستنسب : ذكر نسبه وجمع النسب أنساب .

صالح الأعمال : الأقوال والأفعال الطيبة وفي التنزيل العزيز :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٢)

١٥. **التقي :** من يقي نفسه المحاذير والزلل :

ومنه قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ... ﴾ (٣)

أي أحذروا واحموا أنفسكم .

والتقي : المتقي الذي يجنب نفسه المهالك .

الفعال : الفعل وهو ما يقابل القول ومنه قوله سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤)

والمراد أن التقي هو الذي يتوافق قوله مع فعله .

١- سورة الأنعام : الآيـــة ٢.
٢- سورة الكهف : الآيــة ٣٠.
٣- سورة التحريم : من الآية ٦.
٤- سورة الصف : الآية ٢،٣.

١٦. **مكارم :** جمع مكرمة بفتح الميم وضم الراء وهي الأفعال الكريمة

المعالي : جمع (معلاة ، وعلا، وعلاء) بمعنى الشرف الثابت والذكر العالي المرتفع .

١٧. **التاج :** ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر ، والعرب تسمي العمائم التاج وفي الحديث : (العمائم تيجان العرب) جمع تاج أي العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك .

ترسخ : رسخ الشيء يرسخ رسوخاً : ثبت في موضعه ، الراسخ في العلم الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً . وكل ثابت راسخ ومنه :

﴿ ... وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ... ﴾ [١]

أي الثابتون على مدارسة العلم .

سكينة : الاستقرار والهدوء والرزانة . ومنه قوله جلا وعلا :

﴿.. فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا..﴾ [٢]

الجلال : العظمة والرفعة ولا يقال الجلال إلا لله والجليل من صفات الله سبحانه، وقد يوصف به الأمر العظيم والرجل ذو القدر الخطير.

المعنى :

أراد الشاعر بعد ما اهتدى إلى طريق الهداية بعد الضلال أن يرسم صورة واضحة المعالم للتقوى والهداية ، ليسير في ركابها راغبي الآخرة ، وليحيا من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة - وبخاصة بعد أن عرف الإنسان من تصرف الأحوال وتقلب الزمان أن الدنيا زائله فانية ، وأن الآجال والأرزاق لا شأن

١- سورة آل عمران : الآية ٧.
٢- سورة التوبة : من الآية ٤٠.

للإنسان في مجرياتها ، فهي مخطوطة في علم الله الأزلي للإنسان ، تجري بها الأسباب التي كفلها الله للإنسان وهيئها له .

وإذا كان الأمر كذلك فإن التقوى هي معراج الفلاح وسبيل الهدي ، ومنارة السالكين ودرب الإيمان والصدق ، وأن التقي هو الذي تصدق أقواله أفعاله ويري رفعته وعلو نسبه في قربه من ربه بالأعمال الصالحة وبالتقوى.

﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ [1]

والتقي إذا ما أخلص لربه هداه الله للخيرات والأعمال الصالحات من أقوال وأفعال ويكون عبداً ربانيا يقول للشيء كن فيكون ، تنبع الحكمة من لسانه وتسير المكرمات على يديه .

وإذا كان هذا شأن التقوى وسمة المتقين ، فما عليهم إلا أن يتزودا بهذا السلاح وذاك السبيل ليزدادوا وقاراً وسكينة وهيبة .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ... ﴾ [2]

١- سورة الحجرات : من الآية ١٣.
٢- سورة التوبة : من الآية ٤٠.

openkandil.com

جماليات النص وطرائق التعبير :

لقد بلغ من قوة هذه القصيدة في صدق انفعالها وتعبيرها أن أثارت ابن الأعرابي حتى قال في مجلس بعض الخلفاء : " إني ما رأيت قط شاعراً أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضربا من السحر " .

- والقصيدة لها أهمية خاصة في حياته النفسية والفنية جميعا ، لأنها تقع على الخط الفاصل الحرج في حياته حين وصل إلى قرار خاص بسلوكه وفنه ، ونلمح ذلك من خلال لهجته وتعبيره الذي يعتمد فيه على ضمير المتكلم في مثل قوله : قطعت وحططت ويئست ، فوجدت ، وأرحت - ترحالي - رحالي - بالي وكلها تلمح بل تدل على ما في نفس الشاعر وما حدث فيها من تغيير وما طرأ عليها من تحول .
- كما أن تعبيره بالأفعال الماضية في مجال عزوفه عن الدنيا بعد أن تعرف على حقيقتها وسماتها القبيحة فيه دلالة على أنه قد تمرس الحياة أيام الصبابة والهوى وتعلق بالكثير من مغرياتها ، وحمل على عاتقه الكثير من أعبائها نلمح ذلك من خلال قوله : قطعت ، حططت، يئست ، وكأنه بهذا التعبير يلقي عن عاتقه ما كان يتحمله .
- كما أنه حين تنتابه نشوة النصر على أهوائه وفرحته بالتخلص مما كان يشغله يستخدم الأفعال الماضية التي تؤكد انصرافه وعزوفه عن الدنيا ، فتأتي الأفعال وجدت - أرحت ، ولئن يئست لربّ برقة خلب- برقت ، لتؤكد هذا المعني ولتعطي جمالا في أداء الشاعر وحسن التعبير عن تجربته .

- كما تأتي كلمات الندم وعثور الحظ دليل على إسرافه وإفراطه في الاشتغال بملذات الحياة وانغماسه في أهوائه خلال ماضيه مثل : ما كان أشأم ، رجاؤك قاتلي ، بنات الوعد يعتجلن ببالي .
- هذا بالإضافة إلى إجادته في تخير الصور الفنية المعبرة عما بنفسه والمجسدة لما يحسه في أعماقه تجاه الدنيا وحقيقتها .
- فنرى في البيت الأول صورة رائعة من صور الاستعارة المكنية التي جسدت الآمال شركا وحبائل صيد كثيرا ما أوقعته الدنيا في فخاخها قبل أن يتعرف على حقيقتها كما أن استخدامه لكلمة قطعت تفيد تمام الإجهاز على العلاقة بالدنيا .
- وفي البيت الثالث كناية عن راحة فؤاده وهدأة نفسه بعد أن اعتنق طريق الهدى والفلاح وتكشفت له سمات الدنيا القبيحة ويأسه من أباطيلها وذلك في قوله : فوجدت برد اليأس بين جوانحي .
- وفي البيت الرابع دلالة على إنغماس الشاعر وانصهاره في الحياة اللاهية العابثة قبل عزوفه عنها ، ويقينه بكثرة خداعها وبرق سرابها للراغبين فيها وغير البائسين منها ، لكنه عرف حقيقتها وسبر أغوارها وأبان زيفها وغرورها ويتجلى ذلك في قوله.. لرب برقة خلب برقت لذي طمع ، وبرقة آل .
- وفي البيت الخامس يوظف خياله توظيفاً رائعاً فيأتي بصورة بيانية رائعة أسهمت في تجسيد ما ارتكبه في ماضيه من حماقات وجهل وانشغال بالدنيا .

وفي قوله : " رجاؤك قاتلي " استعارة مكنية تصور شدة حرصه على تحقيق رجائه وآماله .

وفي قوله :" بنات وعدك " كناية عن الأماني الكاذبة والآمال الخادعة التي تزينها الدنيا لراغبيها .

وقبل هذه الصور وتلك الخيالات تتجسد لنا ملامح جدته وصدق نيته في نفرته من الدنيا ومما كان عليه في سالف عهده وذلك في قوله ما كان أشأم .

أما في الآبيات من ٦ : ١١ نرى أن الشاعر يلح في إظهار فكرته تلك التي تتمثل في معرفته طريق النجاة والهدى ، فقد استعمل من الألفاظ والتعبيرات ما يساعده على إبراز تلك الفكرة .

- ففي مجال قراره الفاصل الذي يحاول توكيده يستخدم كلمة (الآن والتي كررت في أوائل الآبيات الثلاثة الأولى والتي تفصل بين واقعة الحالي وماضيه ، ولم يكتف الشاعر بذلك بل حشد الكثير من الألفاظ ، يا دار كل تشتت وزوال ، وصار لي الزمان مؤدباً ، وأبصرت السبيل إلى الهدى وتفرغت هممي عن الانشغال ، فكل هذه الألفاظ تبرز أولاً قدرته على تخيره للألفاظ الموحية والمعبرة عما في نفسه ، وثانياً فإنها جاءت موفية كما أراده من معنى .
- ثم إنه في فلسفته التي انتهى إليها ، وأصبحت حقيقة واقعة في نفسه ومنهجاً يسير عليه استخدم لبيان ذلك قوله : (رأيت ، ورأى، وأبصرت) وفي هذه الألفاظ دلالة على وضوح الرؤية وسلامة القصد فيما اتجه إليه .

- كما استخدم أدوات التوكيد ليدلل على أنه لاشك ولا ريبة فيما ذهب إليه وأخبر به وذلك بعد مشاهدته ورؤيته ونلمح ذلك من خلال قوله في صدر ثلاثة أبيات " لقد " ويعقبها بقوله (رأيت)، (وتصدي).
- أما من ناحية الصور والأخيلة ، فإننا نجد أن أبا العتاهية قد صور ورسم بقلمه ما جسده خياله من حسه ومشاعره تجاه واقعه الذي عاشه قبل أن يسلك طريق الهداية والفلاح .
- ففي البيت التاسع نجد الاستعارة الرائعة التي جسدت الشيب وهو يقيم نعاته كما أنه يُفّضي إليه دون أن يستطيع رده وفي هذا ما يؤكد دور المشيب في حياة الإنسان ، على أساس أنه من دلائل وعلامات الفناء ونذير من نذر الموت .
- وفي البيت العاشر يأتي بعدة صور للموت في صور محسوسة لتكون أوقع في النفس وأقرب إلى الواقع الذي أضحى عليه بعد ما تقدمت به السن وأصبح قريباً من الآخرة ، ومن هذه الصور قوله: " رأيت الموت ، يبرق سيفه ، بيد المنية ، وهي صورة يتشخص فيها الموت وتتراءى بها المنية ، كما يبدو الموت بريقاً ولمعاناً ، وهذه استعارة مؤكدة بما لحقها من الاستعارات التي تآزرت جميعاً في إبراز وتصوير المعنوي في صورة محسوسة لتجسد ما في نفسه من انفعالات وعواطف صادقة .
- وفي البيت الحادي عشر ما يشير إلى اللوعة والأسى لما صار إله من عجز وضعف بحيث لا يقدر على إبقاء سلامته أو صد ما تفعله الحياة بصحته ، ويتمثل ذلك في قوله (ولقد رأيت عرا الحياة تخرمت) على سبيل الاستعارة المكنية .

- وفي الآبيات من ١٢: ١٧ ، نلحظ أنها جاءت في صور تغلب عليها الحقيقة بل إنها بعيدة عن الخيال ، فهي عظات وعبر يسوقها الشاعر في أسلوب رقيق وعاطفة صادقة لتنساب عبر الآذان إلى القلوب .
- وقد استطاع الشاعر أن يختار الألفاظ والعبارات التي تؤدي ذلك المعنى التي يعتمد على سرد الحقائق وتكرار النصح والإرشاد وتقديم خلاصة تجربته في الحياة ، والدعوى إلى الهدى .
- وقد استعان الشاعر على بيان ذلك بما التمسه في القرآن الكريم وبما اقتبسه من السنة النبوية ، ومن أقوال الشعراء السابقين .
- ففي البيت الرابع عشر نجد أنه أهتدي إليه من خلال قول الله عز وجل :

﴿ ...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ (١)

حيث عبر الشاعر عن هذا المعنى بقوله :" وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسباً يقاس بصالح الأعمال .

كما التمس المعنى نفسه من قول الحطيئة :

وتقوى الله خير الزاد ذخراً

وعند الله للأتقى مزيد

وفي البيت الخامس عشر نجد انه استعمل لفظ التقي بمعنى المؤمن وفي هذا دلالة على أن الإيمان والتقوى مترادفان - كما نراه يحدد مفهوم الإيمان مستعيناً بقول النبي ﷺ : " الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ".

١- سورة الحجرات : من الآية ١٣.

كما أنه يتمثل معنى قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (١)

وهذه المعاني استطاع الشاعر أن يصيغها في قوله :

وإذا بحثت عن التقي وجدته
رجلاً يصدق قوله بفعال

وكأنه يحث على صدق الإيمان ومطابقة الأقوال للأفعال حتى يصدق إيمانه وإلا كان مرائياً . وفي الشعر العربي مثل هذه النصائح التي تكشف زيف بعض الناس ممن يراءون وتحثهم على الإخلاص ومن ذلك قول أبي الأسود الدؤلي:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضني
كيما يصح به وأنت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وفي البيت السابع عشر نجد أن الشاعر قد وفق في اختيار كلمة ترسخ مضعف العين للدلالة على التكثير من عمل التقوى ، وتعميق الإيمان وزيادة التحلي بخير كساء وأحسن ملبس وفي ذلك معنى قوله تعالى :

﴿ ...وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ... ﴾ (٢)

١- سورة الصف : الآية ٢،٣.
٢- سورة الأعراف : من الآية ٢٦.

وقوله تعالى :

﴿ ...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ... ﴾ [1]

وفي القرآن الكريم آيات تدور في هذا الفلك الذي يدعو إلى ترسيخ الإيمان في القلوب .

✍ والآبيات في جملتها تمثل قطعة روحية لما أشاعه فيها من روح القرآن وهدي النبي ﷺ ، حيث اتجه بها إلى الإرشاد والنصح والتوجيه وفي هذا المقام لا يعتمد الشاعر على الخيال بل يعتمد على الحقيقة المجردة التي لا يصلح غيرها في هذا المقام ، لذا نرى التعانق بين الألفاظ وبين ما يريده الشاعر .

١- سورة الطلاق : من الآية ٢ ، ٣

obeikandl.com

تعقيب على القصيدة

لقد عبر أبو العتاهية في هذه القصيدة عن رأيه في الحياة ، وأكثر من التعبير طويلاً في هذا المضمار وكان أكثر ما يستغرق همه في نظرته إلى الحياة أنها ليست سوى آمال ضائعة وسراب خادع وأماني كاذبة .

ولعنا نستطيع أن نصل إلى خلاصة رأيه في الحياة في كثير من جوانبها كما رآها وتصورها شرا وبلاء وهموماً ، وعلى أساس ذلك عرض ما ينبغي أن يكون عليه سلوك من تعرف على حقيقة الدنيا ، كما عرض بعض الأسس المثالية التي تصح بها حياة المرء في الدنيا ، وتكون له ذخراً في آخرته .

وهو يبدو من خلال هذه القصيدة وكأنه أخذ على عاتقه ضرورة الأخذ بأيدي الضالين الذين جرفتهم الحياة بعيداً عن سبيل الهدى وسلم الفلاح، ومحاولة إرشادهم إلى طريق الهدى والنور.

ونلحظ كذلك أن الشاعر قد تهيأ له من الصفاء الروحي والخواطر الإيمانية ما جعله يصل إلى طريق الله ، بعد أن ضلّت به الأهواء وشغلته الحياة بغرورها وخداعها ، فكانت تلك العودة الصادقة الممزوجة بإيمان الخائف ويقين الراجي والحريص على لفت أنظار الطامعين في الحياة الراغبين فيها إلى خداعها وزيفها قبل أن تجرفهم تيارات الفساد وعواصف الأهواء .

والقصيدة بما أودعه الشاعر فيها من سلاسة المعاني ورقة الألفاظ وإحكام النسيج ، وبما رسمه فيها من الصور الفنية الرائعة من استعارات وكنايات وتشبيهات ومحسنات لفظية عفوية ، أصبحت لوحة فنية متناسقة الأجزاء ، كما أنها أبانت وأفصحت في جلاء عن غايته وقصده .

كما أن القصيدة تعد صورة حية للحياة في العصر العباسي ، وما كان يدور فيها من الترف واللهو والتكالب على الدنيا ، والانشغال ببهرجتها وسرابها الخادع ، فالقصيدة انعكاسة لكل هذه المظاهر .

ومن خلال هذه القصيدة وغيرها من شعر الزهد عند الشاعر نرى فضل ريادته لهذا اللون من الشعر ، واستحق أن يكون رائد نزعة خلقية وهنت في عصره. فكانت نزعة اللهو والفسق شائعة مألوفة في أدب العصر وبين شعرائه وأدبائه ، أما نزعة التأمل في الحياة والاتعاظ بالموت لم تكن ذات شأن في أدب هؤلاء الأدباء . إلى أن جاء أبو العتاهية فتولاها بشعره السهل وعبر عنها تعبيراً واضحاً ، وأخذ يتعهد هذا الفن الشعري حتى أصبح فناً له أصوله وقواعده عند سائر الشعراء لينسجوا على منواله ، وأصبح أبو العتاهية علماً من أعلام أدب الزهد أو شعر الزهد .

ومع هذا فقد أبرز بعض النقاد بعض المآخذ الفنية إلا أنها لا تقلل من القيمة الفنية للقصيدة وذلك مثل ظاهرة التكرار لبعض الكلمات مثل تكراره لكلمة " الآن " في أوائل الآبيات ٦ ،٧ ،٨ ، وتكراره لكلمة (لقد) في أوائل الآبيات : ٩ ، ١٠، ١١، ١٢ وتكراره لكلمة : (إذا) في الآبيات ١٣ ، ١٤ ، ١٥، ١٦.

وهذا التكرار لا يعد عيباً كما ذكر النقاد إذ إن القصد منه محاولة إبراز الفكرة التي تدور في ذهن الشاعر ، فيحاول استغراق كل ما يسهم في إظهار تلك الفكرة ، وتكرار كل لفظ من هذه الألفاظ له دلالته التي أشرنا إليها في مواطنها .

وبهذا تعد القصيدة نموذجاً فنياً رائعاً في شعر الزهد .